انزياحات لغوية بين الأصل والتطور

*حنان إسماعيل عمايرة**

ملخص

توقّفت هذه الدراسة عند نماذج من الانزياحات اللغوية، الماثلة في تغيّر الصور التعبيرية للغة عما كانت عليه، أو عما كان يمثل أنماطاً لغوية معيارية، آلت إلى تبدل وتحول.

وقد اعتمد البحث على لغة القرآن الكريم، بوصفها ممثلة لمستوى لغوي استخلصت منه الشواهد والأمثلة التي تعد معياراً حفظ للغة بقاءها وسيلة اتصال في مختلف الأزمنة والأمكنة، ثم كان النظر في هذه الأمثلة، بتوصيف ما طرأ عليها من انزياحات أبعدتها إلى حد كبير أو قليل عن ملامحها الأولى.

وقد اتخذت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي طريقا لها، واستعانت باستبانة أجاب عنها متخصصون في اللغة العربية، (مجموعة من طلبة البكالوريوس والدراسات العليا) حول عدد من الأنماط اللغوية التي يرى الباحث أن ثمة انحيازاً في الاستعمال طرأ عليها، وقد طُلب من المجيبين عن الاستبانة النظرُ في هذه الأنماط والإجابة عنها بالخطأ أو الصواب، تبعا لمعرفتهم بها وألفتهم باستخدامها، وقد أسفرت الدراسة عن تقييم كثير من الأنماط على أنها (خطأ) أو (ركيكة) بينما هي في واقع الحال تمثل جزءاً من صميم الثابت الصحيح في التراث اللغوي الفصيح، وفي هذا ما ينوّه بفجوة بين كثير من الصور المعيارية للغة، وما آلت إليه بفعل الاستعمال الحالي، وهذا يدفع إلى اتخاذ موقف من هذه الانزياحات اللغوية.

الكلمات الدالة: انزياح، تطور، تركيب.

المقدمة

يذهب بعض اللغويين إلى تقسيم العربية إلى مراحل من التطور، يقول تمام حسان: "وما كان أولى الدراسات اللغوية العربية أن يقتصر أخذها على القرآن والحديث، وأن تعتبر دراسة القواعد فيها دراسة لمرحلة معينة من تطور هذه اللغة، ثم يطلق اللغويون سراح اللغة تتطور بعد ذلك كما تشاء"[(1)]. فهو يشير إلى هذا البناء اللغوي الذي أشغل اللغويين بالتنظير والتقعيد والتعليم، ونال من الجهد والعناء ما ناله. غير أن هذا القول يحمل ملامح النظر الوصفي إلى اللغة، المغاير لمعالم المعيارية التي أخذت على عاتقها مهمّة الجمع والتأليف، واعتماد لغة مركزية تعد معياراً يُحرص على تعلمه وتعليمه في سبيل توحيد الألسن على نمط واحد مرتضى، وهذا يقتضي المحافظة على هذا المعيار، وعدّ التطور باباً ينبغي ألا يفتح على مصراعيه، وإنما هو ممكن في بعض الوجوه كالمعجم والأساليب البيانية، أما التراكيب والبنى الصرفية فيراد الحفاظ عليها إطاراً يمكن قراءة معالمه بتقادم الزمان.

وتعد لغة القرآن الكريم مكونا مهما من مكوّنات معيارية اللغة، ومركزاً له، هذه اللغة القرآنية التي كان للعامل الديني أثر في ذيوع أساليبها التعبيرية وأنماطها اللغوية التركيبية، كان بينها وبين لهجات العربية قواسم مشتركة وأخرى مختلفة. وقد تطلّب الأمر أن يُقصى ما ابتعد من لهجات العرب عن اللهجات المركزية التي تمثل النمط القرآني[(2)].

وبناء على ما سبق، فإن هذه الدراسة تبتغي النظر في أمثلة من التراكيب اللغوية القرآنية وتناولها بالتحليل، مع الأخذ بعين الاهتمام مآل هذه التراكيب في الاستعمال اللغوي الحديث: هل احتفظت بحضورها في اللغة العربية اليوم؟ وهل حمّلها البعد الزماني قدراً من الاضمحلال أو التحوّر في كيفية الاستخدام؟

وقد كان أن رصدت الدراسة عدداً من التراكيب اللغوية الواردة في مواضع من القرآن الكريم، مما استشعر الباحث ضموراً في استعماله في عربية اليوم، وكانت أداة القياس المتبعة في التحقق من صحة هذا الافتراض أو عدمها تصميم مجموعة من الجمل تتضمن التراكيب القرآنية، ولكن في نسيج جملي مموّه لها، لتعرض هذه الجمل على مجموعة من المتخصصين في اللغة العربية فيجيبون بصحتها أو خطئها أو ركاكتها انطلاقا من معرفتهم بها، هذه (المعرفة) التي لا

* مركز اللغات، الجامعة الأردنية، عمان. تاريخ استلام البحث 2013/6/3 وتاريخ قبوله 2013/9/3.

©2014 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

تنفصل عن شيوع التراكيب أو غيابها في الاستعمال اللغوي الفصيح حديثا، فغياب تركيب ما عن الاستعمال يقود إلى غرابته على القارئ، ومن ثم هو أمام خيارين: أن يحكم بخطئه أو ركاكته استناداً إلى عدم إلفه به فيما يقرأ ويكتب، وإما أن يصوِّبه اعتماداً على معرفة لغوية دقيقة تمكنه من الحكم بصوابه وإن لم يكن شائعاً. ويُستبعد الخيار الثالث لمن يتشكك في صحة التركيب فيرغب في التوثق منه في مظانه، إذ من غير المتاح له في استبانته إلا أن يعتمد على معرفة حاضرة معبَّر عنها في إجابة فورية.

وقد ركز البحث على تراكيب اللغة، مع إشارة مقتضبة إلى الجانب الصرفي الدلالي، إذ يحتاج هذا الجانب إلى توسع، ولعله يكون للباحث طريق إليه مستقبلا. ومن المعروف أن التراكيب النحوية والأبنية الصرفية من ثوابت اللغة التي يُلمس التحول فيها بطيئاً خلاف المتغيرات كالأساليب البلاغية والوجوه المعجمية، فالبحث يتناول ما قد يطرأ على الثوابت، لا المتغيرات التي لا يشكل تحولها خطورة على اللغة.

هدف الدراسة

ليس من هدف الدراسة الوقوف إلى جانب المعياريين أو الوصفيين التاريخيين في نظرتهم المختلفة إلى اللغة: المعياريون في إيمانهم بأن التراكيب جزء من بناء لغوي أساس لا ينبغي أن يُمس بتغيير، لئلا ينبت ماضي اللغة عن حاضرها، ولتظل العربية في نصوصها القديمة وعلى رأسها القرآن الكريم رابطاً موثقا بين الأجيال، والوصفيون في إلحاحهم على أن التطور في مستويات اللغة جميعها أمر طبيعي ينصاع لقوانين الحياة في التطور والاندثار والتحول و...

فمسوغ هذه الدراسة هو تقديم نتيجة تسعى إلى الحقيقة فيما يتعلق بهذه الأمثلة من التراكيب، وللمعياري حينئذ أن يستفيد منها إن كانت تقول بالتحول الطارئ عليها، أو اضمحلالها، فيكون له أن يتدارك الأمر ويشير إلى الصحة والخطأ فيما يشيع بديلا عنها، وينظر في الأسباب الكامنة وراء (التحول) ويبحث في إمكانية استيعابه بوصفه وجها صواباً مهجوراً، أو بتخطئته بوصفه لحناً لغوياً. ومن جانب آخر، فإن ما تتوصل إليه الدراسة من نتيجة تفيد بأن التراكيب في الاستعمال القرآني آلت إلى تبدلات تركيبية في لغة اليوم – لهو أمر يخدم النظرة الوصفية والتاريخية في النظر إلى اللغة على أنها كائن دائم التجدد والتطور في مساراته جميعها، وما في نتائج الدراسة يؤيد هذه النظرة ويؤكدها بأمثلة تتخذ أكثر أسس اللغة ثباتاً (التراكيب) مثالاً على حتمية التطور.

فهذه الدراسة تسعى إلى الوقوف على التباين بين الماضي التركيبي للغة، وما طرأ عليه من تغيّر جعل أبناء اليوم يستهجنون ما كانت عليه بالأمس.

كما تفترض الدراسة أن الأنماط التركيبية المشار إليها في غضون البحث هي أنماط شحّ استعمالها على الهيئات التي نجدها في الآيات القرآنية، وبعضها طرأ عليه تحوُّر وتبدل.

وتتباين العوامل التي أدّت وتؤدي إلى ما ذُكر عن هذه التراكيب وغيرها في واقع الاستعمال، فسنة اللغة تتصاع لسنن الكون ونواميسه في اللاثبات والتحوّر المستمرين ، ولهذا ينتفي أن تبقى ملامح اللغة كما هي رغم تقادم الزمن، ويلعب نشوء اللهجات والعوامل الزمانية والمكانية والفكرية لكل عصر دوراً في التغيير، ومع أن النتائج تبدو أحياناً صادمة – كأن يستهجن أبناء هذا العصر من المتعلمين تراكيب هي في صميم الفصاحة – إلاّ أن تفهم حدوث الانزياحات التدريجي يساعد في فهم النتائج النهائية.

كما قد يلعب الهدف التعليمي دوره في انتقاء أنماط بعينها وإقصاء أخرى، وبذلك تنأى عن الأضواء أنماط فصيحة، بحجة أن الهدف التعليمي يحث على اختيار مادة ميسورة أمام المتعلم، دون الاستكثار، والأكثر من ذلك أن هذه المادة (الميسورة) لا يتّم اختيارها – في أحايين كثيرة – بناءً على البعد الإحصائي الذي يحدِّد مقدار الشيوع ويبرّر الأهمية.

ومع أن التطور اللغوي ناموس لا حياد عنه، "إلاّ أن التقلُّص أو التوسع ينبغي أن يكون منضبطا بما يسوِّغه، صرفاً أو نحواً أو صوتاً أو بلاغة، وإلا كان من حقنا أن نحكم عليه بالفضول إن كان توسُّعاً، أو بالضمور إن كان تقلصاً"[3].

منهج الدراسة

وقد كانت وسيلة تتبع هذه الفرضية وإثبات صحتها أو بطلانها إجراء استبانة تستفتي المستبيَنين من المتخصصين في اللغة العربية حول مجموعة من التراكيب اللغوية الواردة في القرآن الكريم مضمّنة (أي التراكيب) في جمل مصبوغة بالصبغة اللغوية الحديثة في الاستعمال، بُغية تمويه مصدرها القرآني على القارئ، ليقدِّم انطباعه عن التركيب الذي يقرأه من حيث صحته أو خطئه، وهو بإجابته عن الاستبيان ليفصح عن موقفه إزاء التركيب الذي يقرأه من حيث إلفه به أو استهجانه له، فإذا استهجنه حكم عليه بالخطأ، وإن ألفه نظر فيه وربّما عدّه صوابا، وكان الهدف من تمويه التركيب القرآني هو محاكمة المجيب للتركيب في حدِّ ذاته في جملة غير قرآنية، ليكون الحكم مجرداً من اعتبارات الفصاحة والبلاغة التي يتسم بهما القرآن الكريم.

إن كثيراً من الأنماط التعبيرية التي وُجدت في الاستخدام

اللغوي القديم آلت إلى أن تكون غريبة على مستعملي اللغة في عصرنا الحاضر، وقد أشارت دراسة إسماعيل عمايرة إلى ذلك، حين عرض تركيباً من نحو قوله تعالى: "**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى**"[4]، بعد أن أجرى عليه تغييراً في الألفاظ، مع الاحتفاظ بجوهر التركيب ليصبح: ما هذه بيدك يا زيد؟ ثم قدّمه أمام مجموعة من المتخصصين في اللغة العربية من طلبة الدراسات العليا، وطلب منهم الحكم على العبارة (ما هذه بيدك يا زيد؟) وكانت النتيجة أن أشار بعضهم إلى ركاكة التعبير أو خطئه، مقترحين بديلاً (ما هذا الذي بيدك؟)[5].

الدراسات السابقة

من الدراسات السابقة في هذا الموضوع الدراسة السابقة لعمايرة بعنوان: "نظرة مقارنة إلى المدرسة النحوية العربية من خلال باب الشرط"[6]. وترمي إلى تأكيد ضرورة أن يتجدد النظر إلى النصوص اللغوية بتجدد الوسائل والإمكانات، ويجدر التنويه هنا بأن دراستي هذه مدينة في فكرتها لما جاء في دراسة الأستاذ الدكتور عمايرة، فدراسته القيمة حفزتني لإجراء دراستي هذه، وفكرتها الغنية تستحق الاهتمام من قبل الباحثين، وفيها مجال للتطبيق خصب واسع.

كما رصدت آمنة الزعبي في دراستها (في تحول الأساليب النحوية التركيبية في اللغة العربية في العقدين السابقين على مرحلة العولمة: القصة القصيرة في الأردن نموذجا – مجلة جامعة دمشق، مجلد 22، 2006).

وفي الصفحات الآتية رصد لنماذج من الانزياحات اللغوية في عدد من التراكيب الواردة في القرآن الكريم، مما يتوقف الذوق اللغوي الحديث عنده راصداً ومحللا، وواجداً في عربية اليوم انزياحات عن هذه التراكيب وتحولات على بُناها. ويشار هنا إلى أن إيراد النماذج في هذه الدراسة لا يخضع لترتيب محدّد.

أولا: العزوف عن أنّى وأيّان

في (أنّى) وجهان: أحدهما أنها بمعنى كيف، والثاني أنها بمعنى من أين، وقد ذكر السمين الحلبي أنها جاءت على الوجهين في قوله تعالى: "**قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا**"[7]، والأصح عنده أنها بمعنى كيف[8].

وقد جاء في لسان العرب في أنّى أنها تعني: من أين "تقول: أنّى لكّ هذا؟ أي: من أين لك هذا؟ وقد تكون بمعنى كيف وبمعنى متى، قال تعالى: "**قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا**": أي متى هذا وكيف هذا"[9].

فخلاصة القول إن (أنّى) ينشعب استعمالها في ثلاثة وجوه، فهي بمعنى: كيف، و: من أين و: متى. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما حضور (أنّى) في الاستخدام اللغوي الحديث؟ وهل يعبر عن الكيفية أو الزمن بهذا الظرف؟ ولعل في الاستبيان المطروح مؤشراً على تقدم حضور (أنّى) أو تأخرها في عربية اليوم، وتفترض هذه الدراسة أنها آلت إلى حضور واهٍ، وإنما الحضور الأقوى يكاد يقتصر على ما يدل على معناها: كيف ومن أين ومتى، وإن استعملت فلا يكاد المستعمِل أو القارئ يميز بين دلالاتها.

وأما فيما يتصل بالظرف أيّان، فقد نصّ سيبويه على أنها للسؤال عن الزمان، وهي بمعنى متى[10]، وذكر ابن الحاجب أن (أيّان) للزمان استفهاماً كمتى الاستفهامية، إلا أن متى أكثر استعمالاً، وتكون (أيان) لعظائم الأمور: "**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا**"[11]، وقوله: "**يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ**"[12]، كما يذكر فرقاً آخر بين متى وأيان، وهو أن أيان يُستفسر بها عن المستقبل ومتى يُستفهم بها عن الماضي[13].

والفكرة التي تحاول هذه الدراسة التوصل إليها هي تبيُّن موقع أيّان الظرفية (ولها وظائف أخرى استفهامية وشرطية) الدالة على الوقت في الاستعمال اللغوي الحديث، وهل تَحْضر هذه الفروق الدقيقة بين أيان ومتى في ذهن ابن اللغة، هذا إن كان لأيّان شيوع في الواقع اللغوي؟ وهل يدري مستعمل اللغة المعاصر أن ثمة اتجاهاً لتوظيف أيان مع المستقبل وللأمور العظيمة حسب؟ وتحسب هذه الدراسة أنّ متى تظل أكثر استخداماً في الحاضر والماضي، وقد أشار ابن الحاجب قديما إلى أن الغلبة لمتى على أيّان[14]، وهذا ينسحب على الاستعمال الحديث أيضاً.

ثانياً: التخفف من اتصال عدة ضمائر فى كلمة واحدة

فى قوله تعالى: "**أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ**"[15]، وقوله: "**وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُأُورِثْتُمُوهَا**"[16]، جيء بالضميرين متصلين، وتقدَّم ضمير الخطاب، لأنه أخصّ ولو قُدِّم ضمير الغائب أولا لانفصل الضمير وجوبا، وقد أجاز بعضهم الاتصال واستشهد بقول عثمان: "أراهُمُني الباطل شيطانا"، ونحوه: "**فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ**"[17]، ويجوز: فسيكفيك إياهم[18].

ونلمح هذا الاستعمال في غير موضع من القرآن الكريم، بينما لا نكاد نراه في الاستعمال اللغوي الحديث، إذ هناك ميل إلى تجزئة الكلمة في أقسام:

أنلزمكموها: أنلزمكم إياها

فسيكفيكهم الله: فسيكفيك الله إياهم

أورثتموها: أورثم إياها

ثالثا: استعمال (إن، لا) منفصلتين

لعل من الأمثلة الدارجة في تعليم درس الشرط في اللغة أن يُقال (إن تدرسْ تنجح) وإن شئنا أن نقدم الجملة وقد انتفى الشرط فيها نقول: (إن لا تدرسْ لا تنجحْ) بكتابة إن و لا منفصلتين. وقد جاء في اللسان أن إلاّ تكون حرف جزاء أصلها: إنّ لا، فأمّا إلاّ التي أصلها إنْ لا، فإنها تلي الأفعال المستقبلة فتجزمها[19].

وقد أشار ابن هشام بذكاء إلى التباس إلاّ المكونة من إن الشرطية ولا النافية بإلا الاستثنائية، ذاكراً أنه قد يقع في الخطأ حتى من يظن نفسه عارفاً، يقول في قوله تعالى: "**وَإِلاَ تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ**" [20]: وقد بلغني أن بعض من يدّعي الفضل سُئل في (إلا تفعلوه) فقال: ما هذا الاستثناء أمتصلٌ أم منقطع؟"[21].

وكثيراً ما نجد في تفسير الآيات التي ترد فيها (إلاّ) رداً لأصلها (إنْ لا) كما في قول الزمخشري عن قوله تعالى: "**إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**"[22]: أي إن لا تفعلوا ما أمرتكم به[23]، ولعلّ هذا يكون من باب التحوط، لئلا تختلط بإلا الاستثنائية، كما سبق أن أشار إلى ذلك ابن هشام، ولعل في هذا أيضاً تفسيراً لندرة استخدامها متصلة في عربية اليوم، فإذا كان اللبس قائما في عصر ابن هشام، فمن الأولى أن يقع على ألسنة الناس اليوم، هو مؤشر على شدة الضعف الذي تعاني منه العربية، فمع أن السياق هو الفيصل في التفريق بين معنيي الاستثناء والشرط المنفي، إلا أن الغربة عن اللغة وعدم التعرض الكافي لنماذج من الفصحى التراثية الكائنة في المصادر الشعرية والأدبية وفي القرآن الكريم – يجعل الوقوع في اللبس أمراً متوقعاً.

رابعاً: موقع الواو العاطفة من همزة الاستفهام

لدى قراءة الآية الكريمة: "**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا**"[24]، يدور في الذهن سؤال عن الواو، ما نوعها ولماذا تتأخر بعد الهمزة؟ وهل يتأثر المعنى بحذفها؟. ذكر السمين الحلبي عن هذه الآية أن الهمزة للإنكار والواو عاطفة، والنية بها التقديم على الهمزة على ما تقرر[25].

ويعود السبب في تقدم الهمزة على الواو إلى ما ذكرته المظان اللغوية عن أن الصدارة في الجملة الاستفهامية هي لعناصر الاستفهام، فإنها إن جاءت في جملة معطوفة بالواو أو بالفاء أو بثمّ قُدّمت على العاطف تحقيقا لأصالتها في الوقوع في صدر الجملة[26].

وثمة تساؤل يُطرح هنا عن تداول هذا التركيب في كتاباتنا وخطاباتنا (الفصيحة منها) اليوم، هل ظل الاستفهام يتصدر الجملة المبدوءة بحرف العطف؟ وهل يُصاغ الكلام على النحو: (لقد اجتهدَت، أوَ عندما نجحت فرحت؟) أم أن الواو قد تسقط أحياناً فيقال: (لقد اجتهدت، أعندما نجحت فرحت؟) أو يقال: (لقد اجتهدت، وعندما نجحت هل فرحت؟) تحاول هذه الدراسة أن تبيّن مدى الألفة بين مستخدم اللغة حديثا وبين النمط الأول (همزة الاستفهام متلوة بالواو) أو أنّ هذا الوجه هو استعمال يقف إلى جانب استعمالات أخرى وخيارات أخذت بدورها تشيع.

خامساً: لولا

جاء في معاني لولا أنها تدل على التحضيض والعرض فتختص بالمضارع أو ما فى تأويله إن دلت على التحضيض، كقوله تعالى: "**لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ**"[27]، ونحو "**لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ**"[28]، والفرق بينهما أن التحضيض طلب بحث وإزعاج، والعرض طلب بلين وتأدب[29] ويترافق مع الماضي.

كما تأتى لولا للتوبيخ والتنديم، فتختص بالماضى نحو "**لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ**"[30]، و "**فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً**" [31]، وقد ذكر ابن هشام معنى هامشياً للولا مشيراً إلى أن اللغويين لا يذكرونه عادة وهو الاستفهام كما في قوله تعالى: "**لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ**"[32].

فهل حافظت (لولا) على حضورها بمعنييها الرئيسين (التحضيض مع المضارع والتنديم مع الماضي) في الاستعمال الحديث، وهل يفرِّق المستخدم بين استخدامها مع كل من الماضي والمضارع؟

سادساً: أنْ

يتردد استعمال (أنْ) في القرآن الكريم، ومن أمثلته: "**كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**"[33]، و"**فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ**"[34].

وقد ذُكر في (أن) في الآية الأولى احتمالان: الأول أنها مفسِّرة، لأنها أتت بعد ما هو بمعنى القول وهو المعنى الأظهر، والثاني أنها مصدرية وما بعدها من فعل الأمر صلتها[35].

وفي الآية الثانية ذُكر أنّ (أنْ) مفسرة بمعنى أي، وتحتمل المصدرية بأن يقدّر قبلها حرف الجر. وقد أنكر الكوفيون (أنْ) التفسيرية البتة ويدافع ابن هشام عن رأيهم قائلا إنه في قولهم (كتبت إليه أن قُم) لم يكن كالمعنى في (هذا عسجد أي ذهب)[36].

وتميل هذه الدراسة إلى أنّ استعمال (أنْ) متلوة بالفعل الأمر كما هو في الآيتين السابقتين لم يعد التعبير الأوحد الدارج ولعلنا نقول: كتبتُ إليه أن يزورنا/ بزيارتنا، تركتُ له

ملاحظة أن يقرأ الكتاب/ بقراءة الكتاب. بدلاً من: كتبتُ إليه أن زُرنا/ تركت له ملاحظةً أنْ اقرأ الكتاب.

ويبدو من باب المبالغة أن يُقال إن هذا التعبير تلاشى لصالح الأنماط الأخرى، ويحتاج الأمر إلى استقراء يوثق هذا الافتراض أو ينقضه، وما تسعى هذه الدراسة إليه هو الكشف عن مكانته في عربية اليوم، ولا سيما أنه حاضر بوضوح في اللغة القرآنية، فهل لا يزال له امتداد قوي الآن؟ ولعل في الدراسة التطبيقية مؤشراً على ذلك.

سابعاً: ذا/ هذا

تفاوتت المصادر اللغوية في نظرها إلى الهاء في هذا، وعدّوها في الأغلب زائدة للتنبيه لا أصلية وقد ذكروا أنها تدل على (الذي) [37].

وعلى الرغم مما يلحظ في اسم الإشارة (هذا) من أن الهاء احتلت وظيفة التنبيه حسب، إلا أنها أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الكلمة في الاستعمال، وخاصة في العربية اليوم، وقد لا يتعرف كثير من القراء إلى (هذا) إن أُسقطت منها الهاء وغدت في صورة (ذا).

ولو تأملنا في لغة القرآن الكريم لوجدنا حضورا للصورتين (هذا وذا) ومن أمثلة ذا قوله تعالى: "**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**"[38]، وقوله: "**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا**"[39].

ولا نكاد نلمس حضوراً لـ (ذا) في استعمالاتنا اللغوية، فقد درج في الاستعمال (هذا) ومع أن الهاء عنصر طارئ عليه، إلا أنها بمرور الوقت تحولت إلى أصل فيه، بل قد يصعب التعرف إلى كُنه الكلمة في غيابها.

ثامناً: إمّا

قيل في (إمّا) إن أصلها: إنْ الشرطية زيدت عليها ما تأكيداً، وذهب الزجاج والمبرد إلى أن الفعل الواقع بعد إن الشرطية المؤكدة بـ (ما) يجب تأكيده بالنون، ولذلك لم يأت التنزيل إلا عليه، وذهب سيبويه إلى أنه جائز لا واجب، لكثرة ما جاء منه في الشعر غير مؤكد[40].

وقال المهدوي في إمّا: هي إن التي للشرط، زيدت عليها ما، ليصح دخول النون للتوكيد في الفعل، ولو سقطت ما لم تدخل النون، فـ (ما) تؤكد أول الكلام والنون تؤكد آخره[41].

وقد نبّه ابن هشام إلى أن إمّا فى نحو قوله تعالى: "**فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا**" [42]، هي إن الشرطية وما الزائدة، وليست من معاني إما الخمسة التي ذكرها في شيء[43].

فالداعي إلى إضافة (ما) إلى (إنْ) هو النون المؤكّدة المتصلة بالفعل بعدها، فإن قلّ استخدام النون المؤكدة ينتظر أن يقل استخدام ما، غير أن سيبويه أشار إلى أن اقترانهما جائز لا واجب كما سبق أن ذُكر.

ويُورد المبرد أنه في العبارة: (ضربت إمّا زيدا) بُني الكلام على الشك، وزُعم أن (إما) هذه إنما هي (إنْ) ضُمت إليها (ما) لهذا المعنى، ولا يجوز حذف (ما) منها إلا أن يضطر إلى ذلك شاعر[44].

ويميل هذا البحث إلى أن استعمال (إنّ) غير مضافة إلى ما، هو الغالب، وإلى جانب ندرة (إمّا) في اللغة الفصحى اليوم، ومما يؤيد هذا الفرض غيابها عن أذهان الطلبة إذ لا تقدم في المناهج المدرسية التي تعرض درس الشرط وأدواته.

تاسعاً: ما

يقف المرء أمام نماذج أنماط تركيبية قرآنية تضمّنت (ما) وقفة حيرى: هل ما يزال لها ظلال تماثلها في عربية اليوم، ومنها قوله تعالى: "**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ**"[45]، وقيل: في ما وجهان: زائدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله. والثاني أنها غير زائدة بل نكرة وفيها وجهان: موصوفة برحمة، أي فبشيء رحمة، أو غير موصولة ورحمة بدل منها. كما قيل فيها وجه آخر أن تكون (ما) استفهامية للتعجب وتقديره: فبأي رحمة لنت لهم[46].

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: "**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ**"[47]، وقيل فيها تفسير مشابه، من أن ما تكون إما زائدة أو نكرة[48]، وذكر ابن منظور أنها بمعنى التوكيد، ومعنى الآية هو: فبنقْضِهم ميثاقَهم[49].

ويتجه الاستعمال الحديث إلى التخفف من (ما) إن كانت زائدة وإلى مزيد من الإفصاح إن كانت نكرة موصوفة (بشيء ما تأثرتُ) وأما إن كانت استفهامية، فإضافة علامة السؤال أو التعجب سيفي بالغرض. وقد قدّم هذا النمط اللغوي في الاستبانة في جملة صيغت على شاكلة الجملة القرآنية؛ ليُرى إلى أي مدى يألفها مستخدم اللغة المعاصر ويحكم بصوابها.

عاشراً: مِن

في قوله تعالى: "**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ**"[50]، جاء أنّ مِن زائدة لتأكيد الاستغراق، لا للاستغراق، لأن أحداً يفيده، بخلاف: ما جاءني من رجل، فإنها زائدة للاستغراق[51].

وجاء في قوله تعالى: "**وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ**"[52]، أن من شيء في محل نصب على الحال من عائد الموصول المقدر، والمعنى ما غنمتموه كائناً من شيء

قليلاً أو كثيراً[53].

فهل يدرك مستخدمو اللغة اليوم الفرق بين كون الجملة مشتملة على مِن أو بدونها؟ وإن كان بعضهم يدرك كونها زائدة فهل يفرق بين كونها للاستغراق أو لتأكيده؟

الحادي عشر: استعمال المفعول المطلق

لعل الاستعمال اللغوي الحديث يميل إلى الإقلال من المفعول المطلق، لصالح أنماط تعبيرية أخرى تؤدي معناه، فيقال: انتقل انتقالاً سريعا وانتقل بسرعة، ويبدو أن التعبير الثاني (من مثل: انتقل بسرعة) أكثر شيوعاً اليوم، حسبما أشارت دراسة لآمنة الزعبي[54].

ومن الملاحظ شيوع تركيب المفعول المطلق (أو ما ينوب عنه) في القرآن الكريم في مواضع عديدة منها: "**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا**"[55]، و"**وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا** "[56]، و"**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا**"[57].

الثاني عشر: التصريف مع الضمائر

نقرأ قوله تعالى: "**وَفِى ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**"[58]، وقوله: "**هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا** "[59]. نلاحظ كيف جرى تصريف عسى مع الضمير، وكذلك جرت إضافة ميم الجماعة لاسم الإشارة ذلك، وهذا الأسلوب لا يندرج استعماله في كتابات اليوم، فلا تجدنا نقول: عسيتِ وعسينَ وعسوا، وإنما نميل إلى القول: عسى أنكِ، وعسى أنهنّ وعسى أنهم، كما أن اسم الإشارة ذلك يندر تصريفه: ذلكِ، ذلكما، ذلكنّ.

الثالث عشر: إن النافية

من المعروف أن حروف النفي متعددة في العربية ومنها: لا النافية ولم وما وإن وقد ذكر ابن هشام أنها حرف يدخل على الجملتين الفعلية والاسمية[60]، غير أنّ (إنْ) تكاد تكون غير مألوفة في عربية اليوم، ويُستعاض عنها بالحروف الأخرى، بينما تعد دارجة فى الاستعمال القرآنى، ومنه: "**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**"[61]، و "**إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتنَا الدُّنْيَا**"[62].

الرابع عشر: التخفُّف من توظيف ضمير النصب المنفصل

في قوله تعالى: "و**إِيَّايَفَارْهَبُونِ**"[63] و"**وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ**"[64]، و"**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**"[65]، تقدم الضمير المنفصل على الفعل، وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن[66]، ولكن الاستخدام الحديث يميل إلى تأخير الضمير وتحويله إلى ضمير متصل: أعجبني، أنصفوني، أخّرني...

الخامس عشر: نِعِمّا

كما جاء فى دمج الضمائر والتعبير الموجز في قوله تعالى: "**أَنُلْزِمُكُمُوهَا**"، فإن في نعمّا اختصاراً وإيجازاً يتمثل في دمج مكوناتها (نِعْم) و (ما). وقد قيل فيها إن ابن عامر قرأ: فنَعِما، لأن الأصل كعَلِم، وقرأ ابن كثير وورش وحفص بكسر النون والعين، وإنما كَسْرُ النون اتباع لكسرة العين، وهي لغة هذيل، وتحتمل قراءة كسر العين أن يكون أصل العين السكون فلما وقعت بعدها (ما) وأدغم ميم نِعْم فيها كسرت العين لالتقاء الساكنين، وهو محتمل[67].

السادس عشر: أنماط تركيبية فى الضمير

في قوله تعالى: "فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ[68]" نجد أنّ هذا التعبير القرآني يمتلك فرادة في استعماله، فهو نمط يراه القارئ في عصرنا غريبا يتوقف عنده ويحاول التعرف إليه، ولا يقتصر الأمر على القارئ المعاصر، فقد اختلف المفسرون وأصحاب النظر اللغوي في التعرف إلى كنه الضمير في اقتده، وعلام يعود، فقيل: اقتد الهدى ومعناه اقتد اقتداء الهدى، ويجوز أن يكون الهدى مفعولا من أجله: فبهداهم اقتد لأجل الهدى، وقيل أيضاً: الاقتداء أي اقتدِ الاقتداء[69].

السابع عشر: دخول لام التوكيد على حروف الجر

للتوكيد صور مختلفة احتفت بها كتب البلاغة العربية، وأوضحت معاني التوكيد في صوره المتعددة، كالحصر والقسم والتوكيد بالحروف وبالمفعول المطلق ... الخ. ومما أتى عليه التوكيد فى القرآن الكريم قوله تعالى: "**وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّه تُحْشَرُونَ**"[70]، فقد جاء التوكيد باللام السابقة لإن، كما جاء سابقا لحرف الجر (إلى)، واللام هنا غير عاملة فائدتها توكيد مضمون الجملة[71].

الثامن عشر: استعمال حروف الجر

ثمة تحوّل يقع في استعمال حروف الجر عما كان عليه في العربية القديمة (التراثية) ومن صور استعمالاتها التى لا نجد لها مثائل مقابلة في عربيتنا اليوم: "**هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى**"[72]، و"**مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ**"[73]، و"**وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّل مَرَّة** "[74].

اشتملت الآيتان الأوليان على حرفي الجرّ (إلى، اللام) مما لا يُمال إلى استعماله في هذا الإطار اليوم، فيقال هل لك أن... دون (إلى)، كما يُقال: مصدقاً ما... دون اللام، وأما الآية الأخيرة فخلت من حرف الجر (الباء) الذي يُظن أنه كان سيستخدم لو صيغت جملة حديثة توظِّف الفعل بدأ، حيث يُقال: بدأ بـ. ومثل هذا قوله تعالى: "**يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ**"[75].

فاستعمال حروف الجر يحمل غير نمط وهيئة، وفي هذا مدعاة للتسهيل والتسمح في قبول أي وجه ما دام يحمل عليه شاهداً.

التاسع عشر: إعمال اسم الفاعل عمل الفعل

في الآية الكريمة: "**فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ**"[76]، جرى إعمال اسم الفاعل عمل الفعل (يخلف) فنصب المفعول (رسله). وهو أسلوب معروف في القرآن الكريم، ومختلف عما تألفه الكتابة في عربيتنا المعاصرة، التي تغلّب الفعل، فيقال: هو يبيع الخضار للولد أكثر من: هو بائعٌ الخضارَ الولدَ. وهي تعطي الورد لابنتها أكثر من: هي معطيةٌ الوردَ ابنتها، المفعول به.

العشرون: استخدام لمّا بمعنى إلاّ

في قوله تعالى: "**إِنْ كُلّ نَفْس لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظ**"[77]، جاءت لمّا بمعنى إلاّ، وهو استخدام لا نجده في عربيتنا المعاصرة، وقيل فيها: "وقوله في الحديث: أنشدك بالله لمّا فعلت كذا أي فعلته، وتخفّف الميم وتكون ما زائدة، وقرئ بهما قوله تعالى: "**إِنْ كُلّ نَفْس لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظ**" أي ما كل نفس إلا عليها حافظ وإن كل نفس لعليها حافظ"[78].

الحادي والعشرون: كأيّن

قيل في كأيّ إنها اسم مركب من كاف التشبيه وأي المنونة، ولذا جاز الوقف عليها بالنون لأن التنوين لما دخل في التركيب أشبه النون الأصلية، ولهذا رسم في المصحف نوناً: "**وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا**"[79]، ويلاحظ أن هذا التركيب قد اضمحلّ في الاستعمال الحديث.

الثاني والعشرون: في دلالة الصيغ

من الحقائق القارّة في الأذهان عن اللغة العربية أنها تمتلك خيارات رحيبة تستوعب التعبير لفظاً وتركيباً وصوتا وبلاغة، وقد حمل لنا التراث الأدبي بشقيه الشعري والنثري ألوانا من دقة اختيار الألفاظ وانتقاء الملائم منها للمقام، كما عرضت نماذج من قصص النقاد مع الأدباء في مآخذهم عليهم أو استحسانهم لصنيعهم فيما ينتجون.

وإذاً، فلا بدّ عند تغيير المبنى من ملاحظة تغير المعنى، وإن لم يكن ذلك، فإن المستويات البلاغية للكلام ستتساوى. فاسم الفاعل مثلاً يختلف عن الفعل، فالفعل يحمل معنى الحدث ومعنى الزمان، وأما الاسم فلا يدل على زمان، فهو أكثر دواماً وثباتاً[80]، فثمة معنى لقوله تعالى: "**وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ**"[81]، حُدِّد بدوام الصفة وثبوتها في (باسط) إذ هو تعبير اسمي يغاير التعبير الفعلي (يبسط)[82].

كما تختلف صيغ المبالغة من صيغة إلى أخرى، فالمبالغة زيادة في المعنى تقتضي زيادة في بناء اللفظ كما يقول ابن جني، فإذا أرادوا المبالغة قالوا: وُضاء وجُمّال، فزادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه[83].

فالعدول عن صيغة لغوية إلى أخرى أمر مفصلي في التعبير، أو ينبغي أن يكون كذلك، وقد تتبع بعض الباحثين نماذج من الصيغ المستخدمة في القرآن الكريم، ودرسوها مبرزين الخصوصية في المعنى التي تتحقق بصيغة دون غيرها.

ومن ذلك ما ذكره السامرائي عن الفرق بين التعبير بالاسم والفعل في سورة الكافرين، فقد نفى الرسول – عليه الصلاة والسلام – عن نفسه عبادة الأصنام بالصيغتين: الفعلية والاسمية "**لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**" [84]، و "**وَلاَ أَنَآ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ**" [85]، وبالفعلين: المضارع والماضي.. ونفى عن الكافرين العبادة الحقة بصيغة واحدة مرتين هي الاسمية "**وَلاَ أَنتُمْ عَبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ**" [86]، ومعنى ذلك أنه نفى عبادة الأصنام عن نفسه في الحالتين الثابتة والمتجدّدة، في جميع الأزمنة، وهذا غاية الكمال[87].

وفي قوله تعالى: "**إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ**" استخدمت براء وعُدل عن (بريء) أي اختير المصدر لا الصفة المشبهة، والمصدر دال على الحدث المجرد والوصف المطلق[88].

إلى غير ذلك من أوجه البيان في انتقاء الصيغ في القرآن الكريم، فالصيغة لها مكان محدد لا يسد غيرُها مسدّها فيه، ومعروف ما للتعبير القرآني من فرادة وتميز على غيره من سائر الكتب، غير أنّ البون الشاسع مابين أصول الاستعمال والتزام الكتابة الاعتباطية الممارسة في عربية اليوم، لهو أمر لافت للانتباه، فكثيراً ما نصوغ قوالب غير دالة على المعنى الذي نبتغيه، ويسهل علينا استبدال هذه القوالب بغيرها، دون إدراك للفروق التي قد تكون دقيقة جداً وضئيلة، إلا أنها تستطيع صناعة المعنى الهدف.

ولو استُعرضت الجمل الآتية أفقيا، لتبادر إلى الذهن المبتغى من ذكرها، وهو أن كثيراً من مستعملي اللغة لا يأبهون بالفروق بينها، ولا يمثل النظر في الاختيار الملائم أمراً يحسب حسابه قبل انطلاق هذه العبارات إلى ذهن القارئ:

هو ينجح في حياته	هو ناجح في حياته
القاضي كفء	القاضي كفاءة
تأملت نجوم الليل	تأملت أنجم الليل

إن إدراك الفروق بين الصيغ اللغوية لهو أمر على قدر من

الأهمية في خدمة التعبير السليم، ولا ينبغي الاكتفاء بتعليم الفروق بين الصيغ والتراكيب نظريا، بل يستلزم الأمر التوقف عند الأداء اللغوي وتقويمه باستمرار، شفويا وكتابيا وفي المراحل التعليمية المختلفة، لئلا نفقد هذه الميزة التعبيرية العظيمة في لغتنا، التي تتخذ لغة القرآن مثلاً أعلى دالاً ينتظر مزيداً من تسليط الضوء عليه أمام المتعلمين، وتقريبه لهم ببيان وجوه الدقة وأنماط الاستعمال المختلفة التي يلائم كل منها مكاناً خاصا يقع فيه.

ومما تخفى معرفته من معاني التراكيب (إنّ) على كثرة استعمالها وشيوعه، إلا أنّ الظن بأن إدخالها على الجملة أو عدمه سواء ليطغى على الاستعمال، وليس هذا الأمر قاصراً على مستعملي اللغة اليوم، فالجرجاني يذكر قصة مفادها ادعاء الكندي المتفلسف إلى أبي العباس بأن كلام العرب فيه حشو، إذ تدخل (إنّ) دون معنى يراد، فيجيبه أبو العباس بقوله عن إن وإفادتها التوكيد[89]، وهذا مما تذكره كتب النحو ولا جديد فيه، غير أن المعنى الآخر الذي ذكره الجرجاني هو ما يسود الاتكاء عليه في استخدامنا (إنّ) اليوم، ولربما غلب الاستعمال القائم على إفادة التوكيد، والمعنى هو الذي يستند إليه في تحليل قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** "[90]. وقوله: "**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**"[91]. فإنّ ترتبط بما قبلها وتألف معه وتتحد به، حتى كأن الكلامين قد أُفرغا إفراغاً واحداً، وكأن أحدهما قد سُبك في الآخر[92]. وهذا المعنى الذي قوامه الترابط والوصل هو ما نقصده في أحايين كثيرة نوظف فيها (إنّ) وليس من غرضنا توكيد الكلام.

والصفحات الآتية من هذا البحث تمثل الدراسة التطبيقية المكونة من استبانة اشتملت على تراكيب لغوية واردة في القرآن الكريم، مقابلة بجمل تحوي التراكيب نفسها التي صنعها الباحث لتكون على نمط التركيب القرآني، في سياق مموِّه على القارئ ليقدم رأيه في التركيب مجرداً من معرفته بأنه وارد في القرآن فيحكم بصحته لهذا السبب حسب.

الرقم	التركيب في الآية القرآنية	التركيب المصوغ على نمط التركيب القرآني
.1	"قَالُوٓاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا" البقرة:247	أنّى يكون له الأمر في هذه المسألة؟
.2	"فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ" البقرة:223	فأتوا أعمالكم أنى رغبتم في ذلك
.3	"وَمَا يَشْعُرُونَ أَيّانَ يُبْعَثُونَ" النحل:21	ما يعرفون أيان يتطلعون في سفرهم
.4	"أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ" هود: 28	أنعطيكموها وأنتم لا تستحقون
.5	"إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ" أنفال: 73	إلا تثابر تفشل
.6	"أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قد أصبتم مثليها أنّى هذا" آل عمران: 165	أولمّا أصابك الحزن قلت الحمد لله
.7	"لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ " الرعد: 7	لولا جاءك رزق خير
.8	"وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ" النساء: 66	ولو حكمت عليك أن احم نفسك
.9	"مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ" البقرة: 255	من ذا الذي رفع صوته
.10	"فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى" البقرة: 38	إمّا تصّدقنّ فيحببك الناس
.11	"فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ" آل عمران: 159	فبما مناسبة طيبة لان قلبك
.12	"مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ" الأعراف: 184	ما بصاحبي من ألم
.13	"وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّه تُحْشَرُونَ" آل عمران: 58	لإن رجعت إلى ربك لإلى الجنة مثواك
.14	"مصدِّقاً لما معهم" البقرة: 91	كان رحمة الله مصدقا لما يقوله الأتقياء
.15	"وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ" التوبة: 13	لقد ابتدأتك أول حبي
.16	"فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ " إبراهيم: 47	لا تظنن أني مخلف وعدي من أعده

.17	"هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا" البقرة: 246	هل عسيتم إن طُلب منكم استثمار أوقاتكم هدرتموها
.18	" وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ" البقرة: 49	في ذلكما عبرة لمن يعتبر
.19	" إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ"	إن هي إلا حكمة فاتبعها
.20	"إِيَّاكَ نَعْبُدُ" الفاتحة: 3	إياك أعني بمدحي
.21	"إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ" النساء: 58	إن المجرِّب نعما ينصح به
.22	"فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ" الأنعام: 90	عليك بالحكيم وبه اقتده
.23	"كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ ما أَمَرَهُ " عبس 23	كلا لما يتعظ
.24	" إِنْ كُلّ نَفْس لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظ " الطارق: 4	إن كل امرئ لمّا واجد مصْرَعَه
.25	"كَأَيِّنْ مِنْ آَيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا " يوسف: 105	كأين من مغرور تؤدبه الأيام
.26	"مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا" نوح: 25	مما أعمالك عُوقبتَ

الجملة	الإجابة بالصواب	نسبتها	الإجابة بالخطأ	نسبتها	الإجابة بالركاكة	نسبتها	دون إجابة	نسبتها
1. أنّى يكون له الأمر في هذه المسألة؟	45	%50.00	35	%38.89	10	%11.11		
2. فأتوا أعمالكم أنى رغبتم في ذلك	42	%46.67	26	%28.89	22	%24.44		
3. ما يعرفون أيان يتطلعون في سفرهم	32	%35.56	45	%50.00	13	%14.44		
4. أنعطيكموها وأنتم لا تستحقون	36	%40.00	37	%41.11	17	%18.89		
5. إلا تثابر تفشل	35	%38.89	40	%44.44	15	%16.67		
6. أولمّا أصابك الحزن قلت الحمد لله	59	%65.56	10	%11.11	3	%3.33	18	%20.00
7. لولا جاءك رزق خيرٌ	28	%31.11	30	%33.33	30	%33.33	2	%2.22
8. حكمت عليك أن احم نفسك	15	%16.67	35	%38.89	40	%44.44		
9. من ذا الذي رفع صوته	45	%50.00	16	%17.78	29	%32.22		
10. إمّا تصّدقنّ فيحبك الناس	45	%50.00	30	%33.33	15	%16.67		
11. فبما مناسبة طيبة لان قلبك	30	%33.33	26	%28.89	34	%37.78		
12. ما بصاحبي من ألم	30	%33.33	45	%50.00	15	%16.67		
13. لإن رجعت إلى ربك لإلى الجنة مثواك	27	%30.00	28	%31.11	35	%38.89		
14. كان رحمة الله مصدقا لما يقوله الأتقياء	30	%33.33	30	%33.33	30	%33.33		
15. لقد ابتدأتك أول حبي	32	%35.56	45	%50.00	13	%14.44		
16. لا تظنن أني مخلف وعدي من أعده	30	%33.33	40	%44.44	20	%22.22		
17. هل عسيتم إن طُلب منكم استثمار أوقاتكم هدرتموها	20	%22.22	37	%41.11	33	%36.67		
18. في ذلكما عبرة لمن يعتبر	15	%16.67	30	%33.33	33	%36.67	12	%13.33
19. إن هي إلا حكمة فاتبعها	45	%50.00	20	%22.22	25	%27.78		
20. إياك أعني بمدحي	50	%55.56	20	%22.22	20	%22.22		
21. إن المجرِّب نعما ينصح به	37	%41.11	39	%43.33	12	%13.33	2	%2.22

الجملة	الإجابة بالصواب	نسبتها	الإجابة بالخطأ	نسبتها	الإجابة بالركاكة	نسبتها	دون إجابة	نسبتها
22. عليك بالحكيم وبه اقتده	44	%48.89	34	%37.78	12	%13.33		
23. كلا لما يتعظ	32	%35.56	40	%44.44	18	%20.00		
24. إن كل امرئ لمّا واجد مصْرَعَه	39	%43.33	35	%38.89	16	%17.78		
25. كأين من مغرور تؤدبه الأيام	35	%38.89	19	%21.11	36	%40.00		
26. مما أعمالك عُوقبتَ	25	%27.78	33	%36.67	32	%35.56		

قراءات في نتائج الاستبانة

تكشف الاستبانة المجراة على تسعين متخصصاً في العربية من طلبة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه عن الملاحظات الآتية:

1. تشير النتائج بصورة عامة إلى أن ثمة غربة بين القارئ المعاصر وهذه الأنماط اللغوية، فعلى الرغم من كونها تراكيب صحيحة واردة في لغة القرآن الكريم، إلا أن شُح تداولها قاد إلى الحكم بخطئها أو ركاكتها. فتراكيب اللغة أشبهت في هذا ألفاظها في تحكّم التداول في دلالاتها، وامتدادها وانحسارها.
2. على الرغم من التفات ثلاثة ممن أجابوا عن الاستبانات إلى التشابه بين بعض التراكيب – في إشارتهم – ولغة القرآن الكريم، إلا أن هذا لم يقدهم إلى تصويب هذه التراكيب كلها، فالمجيب قد لمس قدراً من الألفة بها ، غير أن تمكّن الشعور بالغربة عنها جعل الحكم بتخطئتها يُرجح لديه.
3. تفاوتت الأنماط اللغوية المدروسة في نظر المجيبين عن الاستبانة، فبعضها وجد نصيباً أكبر من عدّها صوابا (أنى، إمّا، ذا، إنْ) في حين صُنّف بعضها الآخر تصنيفاً يرجِّح كونها خطأ بنسبة كبرى (أيان، مِن (الزائدة)، تعدية الفعل (ابتدائك)، (لمّا) ولعل هذا عائد إلى تباين هذه الأنماط من حيث الشيوع والقلة بالنسبة إلى القارئ، مما ينبني عليه الحكم بالخطأ أو الصحة.
4. أشارت عدة ملاحظات سجّلها المجيبون عن الاستبانة إلى أن عددا من الجمل المقدّمة تحمل طابعا متكلفاً تارة وخطأ أخرى، وتقترح البدائل تارة ثالثة، وكان من مجمل ما جاء في تصويب بعضها: في العبارة الأولى: (أنى يكون له الأمر في هذه المسألة؟) ذُكر أن (أنى) لا تعد من أدوات الاستفهام واقترحت البدائل: كيف، ما، ماذا، وفي العبارة الثانية التي تحمل أنّى: (فأتوا أعمالكم أنى رغبتم في ذلك) اقتُرح البديل (أن) المصدرية.

وأما في الجملة السادسة فقد جاء في غير رأي أن يُستبدل بـ (أو لمّا أصابك الحزن قلت الحمد لله) قولنا: (أعندما ...) وذلك بناءً على الحكم بخطأ (أولمّا).

كما تكررت الإشارة إلى خطأ تعدية الفعل في (لقد ابتدأتك أولى حبي) وكان تصويبها وفقاً للاستبانات: ابتدأت بك، دونما علم بالشواهد القرانية – وغير القرانية – التي تسمح بتعدية الفعل فيها. فكأن الإجابة تعتمد على تحكم الذوق فيما يألف، وليس فيما تسعفه به المعرفة، كما جاء في تصويب جملة (أنعطيكموها...) لدى من رآها خطأ: أنعطيكم إياها. واقتُرح في جملة: (أولمّا أصابك الحزن قلت الحمد لله) أن تحذف الواو لعدم ضرورتها حسبما ذكر في الإجابات.

وفي الجملة: (في ذلكما عبرة لمن يعتبر) تواترت عدة ملاحظات من قبل المجيبين عن الاستبانة ,تشير إلى أن الصواب هو: في ذلكم، ومن الطريف أن يُقبل تصريف اسم الإشارة مع الجمع دون المثنى، وفي هذا إشارة ضمنية إلى الشح في تداول اسم الإشارة (ذلك) مصرفا مع المثنى، خلا فيما قد يكون فصيحاً رصيناً من النصوص، كما هي الحال في النص القرآني، ولعل الازدواجية بين العامية والفصحى هي المسؤولة عن تعميم الخطاب بالجمع على المثنى.

كما سُجلت ملاحظتان تتعلقان بالأسلوبين: (كأين من مغرور تؤدبه الأيام) و(مما أعمالك عُوقبت)، باقتراح البديلين الصائبين: كم من مغرور تؤدبه الأيام و: من أعمالك عوقبت، ويلاحظ على البديلين كونهما من المألوف الدارج، الذي قاد إلى الحكم بأنهما الأنسب والأصحّ.

الخاتمة

ثمة تحولات لغوية تقع في تراكيب اللغة التي تعدُّ من ثوابتها، حتى إن التحول ليوصل إلى صورة مغايرة للتركيب في صورته الأخيرة، ولربما يؤول تركيب ما إلى تلاش من الاستعمال بعد ركود متدرج تحوَّل إليه عبر الوقت.

وقد أرادت هذه الدراسة التوقف عند بعض التراكيب اللغوية الواردة في القرآن الكريم، مما لم يعد شائعاً استخدامه في عربية اليوم، وقد تم اختبار هذه الأحكام من خلال استبانة أجريت على مجموعة من المتخصصين كما سبق أن ذكر.

وعلى الرغم من أن النتائج هنا لا تعبّر بدقة تامة عن هذه التراكيب وأحوالها، إلا أنها تستطيع أن تدل – على الأقل – على انطباع الناطقين بالعربية حديثا عن هذه التراكيب ومدى تفاعلهم مع توظيفها، ولعل في هذه الإشارات دعوةً إلى إحياء تراكيب لغوية عديدة لم تعد تُرى بوضوح في واقع الاستعمال الحالي، على الرغم من كونها تمثل أصولاً في فصاحتها ودقة تعبيرها.

وهذه بعض التراكيب التي رصدتها الدراسة، وهي غيض من فيض تراكيب شح استخدامها، وآل إلى ركود. على الرغم من كونها حاضرة في القرآن الكريم، وقادرة على أداء المعاني بأكمل الصور.

الهوامش

(1) تمام، 1985، اللغة بين المعيارية والوصفية، 78.
(2) السيوطي، 1976، الاقتراح في أصول علم النحو، ط1، 63.
(3) عمايرة، 2003، دراسات لغوية مقارنة، ط1، 115.
(4) سورة طه: 17.
(5) عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة، ط2، 130.
(6) المصدر نفسه: 130.
(7) سورة البقرة: 247.0
(8) الحلبي، السمين، 1986، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ط1، 520/2.
(9) ابن منظور، لسان العرب، 437/15، والآية من سورة آل عمران: 165.
(10) سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر (ت 180هـ)، 1975، الكتاب، 235/4.
(11) سورة الأعراف: 187.
(12) سورة الذاريات: 12.
(13) ابن الحاجب، الكافية، ق. سلطان كتب خانة: 117/2.
(14) ابن الحاجب، الكافية: 117/2.
(15) سورة هود: 28.
(16) سورة الأعراف: 43.
(17) سورة البقرة: 137.
(18) الحلبي، السمين: الدر المصون: 315/6.
(19) ابن منظور، لسان العرب: 431/15.
(20) سورة يوسف: 7
(21) ابن هشام، مغني اللبيب: 22/1.
(22) سورة الأنفال: 73.
(23) الزمخشري، جار الله، الكشاف: 170/2.
(24) سورة آل عمران: 165.
(25) الحلبي، السمين، الدر المصون: 473/3.
(26) المرادي، 1973، الجنى الداني في حروف المعاني، 30–32.
(27) سورة النمل: 27.
(28) سورة المنافقون: 10.
(29) ابن هشام، مغني اللبيب: 274/1.
(30) سورة النور: 13.
(31) سورة الأحقاف: 28.
(32) ينظر ابن هشام، مغني اللبيب: 274/1، والآية من سورة المنافقون: 10.
(33) سورة النساء: 66.
(34) سورة المؤمنون: 27.
(35) الحلبي، السمين، الدر المصون: 21/4.
(36) ابن هشام، مغني اللبيب: 31/1.
(37) ابن منظور، لسان العرب: 449/15، وابن هشام: مغني اللبيب: 348/2، وانظر الحلبي، السمين، الدر المصون: 508/2.
(38) سورة البقرة: 255.
(39) سورة الحديد، 11.
(40) الزجاج، معاني القرآن: 86/1، والمبرد، المقتضب، 16/3، 14.
(41) الحلبي، السمين، الدر المصون: 301/1.
(42) سورة مريم: 26.
(43) ابن هشام، مغني اللبيب: 60/1.
(44) المبرد، المقتضب: 28/3.
(45) سورة آل عمران: 159.
(46) الحلبي، السمين، الدر المصون: 460/3.
(47) سورة النساء: 155.
(48) الحلبي، السمين، الدر المصون: 142/4.
(49) ابن منظور، لسان العرب: 473/15.
(50) سورة البقرة: 102.
(51) الحلبي، السمين، الدر المصون: 27/2.
(52) سورة الأنفال: 41.
(53) الحلبي، السمين، الدر المصون: 27/2.
(54) الزعبي، آمنة (2006): في تحول الأساليب النحوية التركيبية في اللغة العربية في العقدين السابقين على مرحلة

العولمة، القصة القصيرة في الأردن نموذجا، العددان (1، 2): 152.

(55) سورة النازعات: 2،1.
(56) سورة المرسلات: 1-4.
(57) سورة العاديات: 1-3.
(58) سورة البقرة: 49.
(59) سورة البقرة: 246.
(60) ابن هشام، المغني: 23/1.
(61) سورة التكوير: 27.
(62) سورة الأنعام: 29
(63) سورة البقرة: 40.
(64) سورة البقرة: 41.
(65) سورة الفاتحة: 4.
(66) ينظر السمين الحلبي عن هذه المسألة في إياك نعبد للاستزادة: 55/1.
(67) الحلبي، السمين: 608/2، 209.
(68) سورة الأنعام: 90.
(69) الحلبي، السمين: 32/5.
(70) سورة آل عمران: 58.
(71) ابن هشام، مغني اللبيب: 282/1.
(72) سورة النازعات: 18.
(73) سورة البقرة: 91.
(74) سورة التوبة: 13.
(75) سورة التوبة: 47.
(76) سورة إبراهيم: 47.
(77) سورة الطارق: 4.
(78) ابن منظور، لسان العرب: 474/15، والآية من سورة الطارق: 4.
(79) ابن هشام، مغني اللبيب: 186/1، والآية من سورة يوسف: 105.
(80) ابن عقيل: بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ط1، 20/1.
(81) سورة الكهف: 18.
(82) صالح، كمال حسين: صيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم: 5، 20، 43.
(83) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص: 266/3.
(84) سورة الكافرون: 2.
(85) سورة الكافرون: 4.
(86) سورة الكافرون: 3.
(87) السامرائي، فاضل صالح: التعبير القرآني، ط1، 26.
(88) السامرائي، نفسه: 36.
(89) الجرجاني، عبد القاهر (474هـ): دلائل الإعجاز، 315.
(90) سورة الحج: الآية 1.
(91) سورة لقمان: الآية 17.
(92) الجرجاني، دلائل الإعجاز: 316.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.
الجرجاني، عبد القاهر، (474هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.
ابن جني، أبو الفتح عثمان، (ت 392هـ)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت.
ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان بن عمرو (ت 646هـ) (1863)، الكافية، تحقيق سلطان كتب خانة، د.ط.
حسان، تمام، 1958، اللغة بين المعيارية والوصفية، مكتبة الأنجلو المصرية.
الحلبي، السمين، أحمد بن يوسف (ت 756هـ)، 1986، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد الخراط، ط1، دار القلم، دمشق.
الزجّاج، إبراهيم بن السري (ت 311هـ)، 1988، تحقيق عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت.
الزعبي، آمنة (2006)، في تحولأ الأساليب النحوية التركيبية في اللغة العربية في العقدين السابقين على مرحلة العولمة، مجلة جامعة دمشق، مجلد 22، العددان (1، 2).
الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت 538هـ) (1964)، الكشاف عن حقائق التنزيل، ق. محمد العدوي، المطبعة المصرية، القاهرة.
السامرائي، فاضل صالح، 1998، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، الأردن.
سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر (ت 180هـ)، 1975، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة.
السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، 1976، الاقتراح في أصول علم النحو، ق. أحمد محمد قاسم، ط1، القاهرة.
صالح، كمال حسين، 2005، صيغ المبالغة وطرائقها في القرآن الكريم، دون ط.
ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، 1990، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ط1، دار الخير، بيروت.
عمايرة، إسماعيل، 2003، بحوث في الاستشراق واللغة، ط2، دار وائل، عمان.

ـــــــــــ، (2003)، دراسات لغوية مقارنة، ط1، دار وائل، عمان.
المبرد، محمد بن يزيد، (268هـ)، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة.
المرادي، حسن بن قاسم (ت 749هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب.
ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
ابن هشام، ت (761هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (د. ت).

Examples of Language Conversions between Origin and Development

Hanan E. Amayreh*

ABSTRACT

This research aims at studying some examples of conversions that can be seen in language expressions, with deference between the old standard shapes and the modern ones.

It was depended on examples from Holy Quran because they represent a level of old language that was a basic for Arabic language rules. The study tries to describe the changes that happened to these examples, in our modern Arabic.

This study uses a blank that aims to know which of these styles are right / wrong / week, according to the opinions of students who answered the blanks. The study reached to a conclusion. Is that there is a clear distance between language levels in Arabic, that encourages us to make a stop and to study the development.

Keywords: Conversion, Development, Structure.

* Language Center, The University of Jordan, Amman. Received on 3/6/2013 and Accepted for Publication on 3/9/2013.